عنوان البحث: الوقف الإسلامي: مجال واسع للإبداع التنموي

عنوان المحور: الإبداع الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية

اسم الباحث: فضيلة رحموني

جهة العمل: أستاذة جامعية في كلية العلوم الاقتصادية بجامعة محمد الشريف مساعدية – سوق أهراس الجزائر-

عنوان الباحث : نوادرية- بوشقوف- قالمة- الجزائر

رقم الهاتف: (213) 07.78.30.00.22

العنوان الالكتروني: fadilarahmouni@gmail.com

الملخص

حاولنا في هذا البحث المعنون بـ " **الوقف الإسلامي: مجال واسع الإبداع التنموي**" أن نقف على شكل من أشكال الإبداع الحضاري للأمة الإسلامية ألا وهو الوقف، وذلك من خلال إبراز الإبداع المفاهيمي للوقف الإسلامي وعلاقته بالتنمية المستدامة كمصطلح معاصر، بالإضافة إلى توضيح دور الوقف الإسلامي في تحقيقها، وهذا ما جعل الحاجة ملحة للإبداع في طرق تنميته واستثماره.

Abstract

In this research, entitled "**El waqf: A wide field to creativity development**", We tried to show el waqf As a model for the creativity of the Islamic nation.

The scheme of this research is as follows:

1- The first part dealt with the Creativity of the Muslim community between the past and the present;
2- The second part explained the concept of endowment and its relationship to sustainable development;
3- The third part highlighted the Important development of waqf;
4- The last part summed the need for creative ways to invest in waqf.

مقدمـــــــــــــة

إن الناظر لحال الأمة الإسلامية اليوم يلحظ سريعا انحصار الزخم الإبداعي بها، غير أن المفتش في تراثها يجده زاخرا بالإنجازات والإبداعات في شتى مجالات العلم والمعرفة والفن والأدب والدين والدنيا، وهذا بفضل تمسكها وتطبيقها لتعاليم دينها الذي يشجع ويجازي على الإبداع والاجتهاد وإن أخطأ المجتهد.

ومن بين مجالات الإبداع الديني والدنيوي التي تفوق فيها المسلمون ماضيا وبالإمكان أن تساهم في تحقيق التقدم والعودة إلى ساحة الإبداع حاضرا: مؤسسة الزكاة ، البنوك الإسلامية، الوقف الإسلامي. هذا الأخير الذي سيكون موضوعا للتحليل في هذا البحث، من خلال محاولة إبراز ملامح الإبداع فيه وبه.

حيث سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية: كيف كان ويكون الوقف الإسلامي مجالا للإبداع؟ وارتأينا تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

أولا: الإبداع في المجتمع الإسلامي بين الماضي والحاضر؛ ثانيا: الإبداع في مفهوم الوقف الإسلامي؛

ثالثا: الأهمية التنموية للوقف الإسلامي؛ رابعا: الإبداع في استثمار الأموال الوقفية.

أولا: الإبداع في المجتمع الإسلامي بين الماضي والحاضر

سنتطرق في البداية لمفهوم الإبداع ثم سنحاول إسقاط هذا المفهوم على ماضي الأمة الإسلامية وعلى واقعها الحالي.

- ✓ **مفهوم الإبداع**

أمكن حصر التعريفات المقدمة للإبداع في مجموعات عريضة، بين من تعرّف الإبداع من خلال المناخ الذي يحدث فيه ومن تعرفه من خلال الخصائص الشخصية والمعرفية للإنسان المبدع، وتعريفات أخرى محورها العملية الإبداعية ومراحلها وارتباطها بحل المشكلات وأنماط التفكير، ومجموعة أخرى

وهي الأكثر انتشارا لأنها تركز على نواتج العملية الإبداعية(محمد بن عبد الرحيم، 1432هـ: 14) ، ويمكن إدراج التعريف التالي ضمن المجموعة الأخيرة، حيث يعتبر الإبداع(زين الدين:11-12):

- إيجاد شيء غير مسبوق؛
- إيجاد شيء وجد في مكان ما، لكن لم يعلم به؛
- اختراع أو اكتشاف طريقة جديدة أو خطة غير مسبوقة لعمل شيء ما؛
- إعادة تطبيق خطة عمل أو طريقة إنتاج شيء معين موجود أصلا، لكن بصورة جديدة أو مطورة أو مختلفة؛
- التحوير في شيء أو فكرة ما، على أن ينتج عن هذه العملية التوصل إلى إنتاج مادي أو فكري جديد؛
- تغيير الطريقة التي ينظر بها شخص أو أشخاص إلى شيء أو فكرة ما.

يلاحظ من هذا التعريف أنه يوسع من أشكال الإبداع ولا يقصرها كما هو متعارف عليه في السبق إلى الجديد المطلق سواء كان منتجا ماديا أو فكريا. ورغم أن هذا الأخير يبقى أهمها إلا أن لباقي الأشكال وزن إبداعي كذلك. و يكتسي هذا المنطلق في تعريف الإبداع -حسب رأينا- جانبا من الصواب والأهمية، مصيب لأن الوصول إلى الجديد المطلق في الكثير من الأحيان لا يكون من أول مرة بل تسبقه درجات- قد تكون بسيطة- في الإبداع تحمل مسميات التغيير والتحوير والتحويل ...فيما هو موجود إلى أن يتوصل إلى ما ليس موجودا، فمعظم الاختراعات التكنولوجية – ذلك أن الاختراعات التكنولوجية هي النواتج المادية من العملية الإبداعية- الحالية نتيجة تقدم بسيط في التكنولوجيا (دغش: 04)، ومهم لأنه مشجع من الجانب النفسي خاصة لمن يسلكون أولى الخطوات في سلم الإبداع بمنحهم الثقة في أنفسهم للوصول إلى أعلى درجات الإبداع.

- ✓ **الإبداع في المجتمع الإسلامي بين الماضي والحاضر**

إن الإبداع والتجديد والاجتهاد ليس غريبا على أمة الإسلام الأولى التي كان القرآن والسنة النبوية منهجها،والتي كانت تأخذ بأسباب الإبداع فكرا وعملا وسلوكا وإنتاجا، كيف لا وهي تعلم أن المبدع والمجتهد فيها إن التزم بالضابط الأخلاقي وجانب إتباع الهوى له أجر وإن أخطأ.(عبد الحليم،78:2005)

والتاريخ الإسلامي يزخر بالإبداعات والمبدعين في جميع المجالات في شتى العلوم والفنون، بين من كانت حدثا في عصرها أو من أثبتت البحوث الحالية سبق المسلمين لما وصل إليه العلم في عصرنا.

والجدول رقم 01 يقدم أمثلة حول إبداعات المسلمين القدامى على سبيل الذكر لا الحصر، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال حصر سواء في الإبداع العلمي - في العلوم الإسلامية الفيزياء والكيمياء والطب والرياضيات وعلم الاجتماع والاقتصاد والإدارة،...- أو الإبداع الأدبي- الشعر والرواية ...-

حقيق لكل من ينتمي لأمة ذات ماضٍ مشرق مليء بالتفوقات والإبداعات أن يشعر باعتزاز الانتماء، لكن الأحق أن نشعر باستحياء تضييع الأمانة والمكانة لأمة يكاد يغيب عن واقعها الفعل الإبداعي، وأصبحت تنتظر الجديد الوافد من الآخر بلهف شديد له وبيأس أشد من تكون هي مصدره، ولسان حالها يقول لقد اخترعوا كل شيء وأبدعوا في كل شيء فماذا بقي لنا.

ولتسليط الضوء على هذا الواقع حاولنا رصد بعض مؤشرات يمكن من خلالها تحديد موقعنا الإبداعي، وهي موضحة في الجدول رقم 02 الذي يبين قيم هذه المؤشرات لبعض الدول الإسلامية وغير الإسلامية.

ففي عدد براءات الاختراع الممنوحة حسب الأصل – لنركز على درجة إبداع المسلمين أينما كانوا- نجدها في الدول غير الإسلامية بعشرات الآلاف في حين يسجل قيم منخفضة في الدول الإسلامية ، إذ تجاوز – بقليل- الألف في تركيا ولم يتعدى 50 في دولة مثل الجزائر والأردن. وتقريبا الملاحظة ذاتها

فيما يخص مستوى الإبداع ما عدا ماليزيا التي لم يتجاوز ترتيبها الثلث سواء في مؤشر الابتكار العالمي أو الإبداع – ذو الوزن الاقتصادي-في السلع والخدمات

حقيقة المسافة الإبداعية -إن صح القول- بيننا وبينهم كبيرة لكن اليأس لا يزيدها إلا اتساعا، ثم إن إبداعهم الذي لم ينضبط في كثير من طرقه ونواتجه بالضابط القيمي والأخلاقي ضر بقدر ما نفع وربما ضرره كان أكبر، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والسياسية التي يتخبط فيها العالم دليل كاف على إبداعه السلبي أو المدمر.

فلا بديل لأمة الخيرية التي ربها بديع السموات والأرض وقائدها معلم البدعة الحسنة والحاث عليها وسلفها مصادر الإبداع الحسن، إلا أن تعاود الدخول مرة أخرى ساحة الإبداع ولو بخطوات بسيطة.

ثانيا: الإبداع في مفهوم الوقف الإسلامي

سنحاول في هذا الجزء من البحث إبراز جانب من جوانب الإبداع في الوقف الإسلامي ألا وهو الجانب المفاهيمي، من خلال محاولة إثبات السبق المفاهيمي الإسلامي لمصطلح معاصر هو التنمية الشاملة المستدامة، وذلك بتوضيح العلاقة بين هذا الأخير الذي سجل أول ظهور له في تقرير **"مستقبلنا المشترك"** الصادر عن المجلس العالمي للبيئة والتنمية التابع للأمم المتحدة سنة 1987، والوقف الإسلامي الذي وجد منذ أكثر من 1400 سنة.

- ✓ **مفهوم التنمية الشاملة المستدامة**

لقد مر الفكر التنموي بعدة مراحل كان أخرها مفهوم التنمية المستدامة، والتي"هي عملية تغيير شاملة في إطار نموذج تنموي يحقق الاستدامة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية التي تضمن تطور الكفاءة الاستخدامية للموارد، وتزايد المقدرة الانجازية في تلبية الاحتياجات الحالية والمستقبلية وما يترتب على ذلك من تغيرات جوهرية في السلوك الاستهلاكي والأساليب الإنتاجية والتكنولوجيات المرتبطة بها، ونظم توزيع الثروة والدخل على المستوى المجالي والقطاعي والزماني

بشكل يؤدي إلى استمرار وتطور الحياة المجتمعية في إطار الاستدامة الشاملة"(صالحي، 2008: 883-884) ، وبالتالي فالتنمية المستدامة هي التنمية التي تتحقق في إطارها:

-الشمولية المجالية و المكانية و المؤسساتية والمواردية: ونقصد بالشمولية المجالية أن التنمية المستدامة هي التي تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والسياسية، أما المكانية أن تحقيق هذا النموذج من التنمية يقتضي وضع سياسات ورسم برامج وتخصيص موارد بالعدل لكل المناطق على المستوى المحلي والقطري وحتى الإقليمي والدولي خاصة في ظل وجود مشاكل وأزمات عابرة للحدود ولا يمكن حصرها في مكان واحد، كما أنه يتطلب تضافر جهود كل المؤسسات والأطراف على المستوى القطري ممثلة بالدولة ومؤسساتها التشريعية والتنفيذية والرقابية، مؤسسات القطاع الخاص والقطاع الخيري والمجتمع المدني، بالإضافة إلى التعاون المؤسساتي الإقليمي والدولي، ويتطلب كذلك الاستفادة من كل الموارد مادية كانت أم بشرية .

- الاستدامة والتواصلية الزمانية لموارد وجهود ومكاسب التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والسياسية، وهذا ما يجسد التوازن والعدل بين الأجيال.

- ✓ **الوقف الإسلامي هو التنمية المستدامة**

من أشهر تعريفات الوقف التعريف الفقهي الذي ينص على أن الوقف:" هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة"(قحف،2006: 58) ، كما يعرف بأنه:" إخراج لجزء من الثروة الإنتاجية في المجتمع من دائرة المنفعة الشخصية ومن دائرة القرار الحكومي معا، وتخصيصا لذلك الجزء لأنشطة الخدمة الاجتماعية العامة، برا بالأمة، وإحساناً لأجيالها القادمة"(قحف،2001: 14).

وعن أصل ظهور الأوقاف تاريخيا، يؤكد البعض على الأصل الإسلامي للوقف، ذلك أن الوقف في الإسلام بدأ في زمن النبوة أي في القرن السادس ميلادي في حين أن أول إشارة للوقف في النظم الغربية كان في التشريع الانجليزي في القرن السابع عشر ميلادي -أكثر من 10قرون-(عيسى،2010:

34) ، كما أن هناك من يؤكد أن المجتمعات السابقة لظهور الإسلام عرفت أشكالا أولية للوقف(الوقف على أماكن العبادة من بيع ومعابد، والوقف على الفقراء والمساكين لكن دائما من خلال دور العبادة والكهان، كما وجد شكل من الوقف على المكتبات عند متأخري اليونان والرومان)، غير أنهم يؤكدون كذلك أن امتداد فكرة الوقف من المؤسسة الدينية إلى البر العام الذي يطول الخدمات الاجتماعية وتقديم المنافع والسلع العامة هو ابتكار إسلامي.قحف(2006: 09-23)

- **الوقف وشمولية التنمية**

لقد بينا أن الوقف بالمفهوم المتعارف عليه الآن هو ابتكار إسلامي، فبمضي القرن الثالث هجري(التاسع ميلادي) ظهر في المجتمع الإسلامي توسعا منقطع النظير في الأغراض الوقفية إلى درجة التفنن، حتى لم تبق مصلحة اجتماعية أو منفعة إلا ولها أوقاف تنفق عليها وتعمل على رعاية تقديمها للناس وصونها وحمايتها قحف(2006: 10) ، من أوقاف : تعليمية، دعوية، صحية، أوقاف للرعاية الاجتماعية، القاعدة الهيكلية(صالحي، 2006: 641) ، بيئية،...

وهذا الشمول والتنوع في الأغراض يدل على تنوع الفئات المستهدفة أو المستفيدة من منافع الوقف، فالوقف الأهلي(الذري) يستفيد منه الأقارب والذرية، والوقف الخيري عام لكل الأمة أو تستفيد منه فئات محددة من المجتمع كالفقراء والمساكين والأيتام والأرامل...، والوقف المشترك بين الوقف الذري والخيري صالحي (2006: 639).

كما يدل كذلك على الشمول والتنوع في "الأوعية المالية المكونة للمحفظة الوقفية" (هليل، 2006: 07)- الأموال الموقوفة -، فالوقف نوع من الصدقة التي تصح في كل أنواع الأموال المعمرة والقابلة للتأبيد والاستدامة(عقارات كالأراضي والمباني، الأموال المنقولة، النقود والأسهم والسندات، الحقوق من حقوق ملكية فكرية وبراءات الاختراع والعلامات التجارية،...صالحي (2005: 640)).

بمحاولة إجراء مقارنة بين مفهوم الشمولية في الوقف ومفهوم شمولية التنمية المستدامة، نجد أن تعدد وشمولية الأغراض في الوقف يقابلها الشمولية المجالية، والتنوع والشمولية في الأموال الموقوفة في

مقابل حاجة التنمية المستدامة للشمولية المواردية، وأخيرا كما أن التنمية المستدامة حق للجميع فالوقف الإسلامي خاصة الوقف العام يحقق شمولية الاستفادة.

- **الوقف واستدامة التنمية واستمراريتها**

تعتبر قضية استدامة الوقف أو ما يعبر عنه الفقهاء بمصطلح "التأبيد" من القضايا الخلافية، وفي هذا الإطار قدم **الدكتور منذر قحف** بعض التوضيحات فيما يخص هذه القضية، حيث اعتبر أن مسألة التأبيد متعلقة بثلاث أمور(إرادة الواقف، المال الموقوف، أغراض الوقف) راجع قحف (2006: 102-105).

وسننطلق في توضيحنا للعلاقة بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة من افتراض أن الوقف مؤبد ومستدام في كل من أغراضه وإرادة الواقف، وإن اعتبرنا أن هذا افتراضا إلا أن في الواقع هو الأمر الشائع والغالب على الأوقاف الإسلامية منذ بداية العمل بها، إلى درجة أنه أصبح عند الكثير من العامة أصلا في الوقف.

وسنوضح هذه العلاقة من خلال الإشارات التالية:

- **استدامة المال الموقوف:** إذ لو نظرنا إلى الأوعية المالية في المحفظة الوقفية نجدها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمفهوم الاستدامة قحف بتصرف(2006: 102-103):
  - إما أن تكون الاستدامة أصل وطبيعة في المال، كالأرض مثلا فهي باقية إلى قيام الساعة؛
  - وإما أن تتحقق الاستدامة من خلال بعض التدابير-: كالاستثمار للنقود، وتخصيص احتياطات ومخصصات للاهتلاك كما في الأموال المنقولة(آلات ، أجهزة طبية أو غيرها، ..) وبعض العقارات كالمباني...، وهذه الإجراءات الهادفة إلى استدامة الأوقاف هي إجراءات قابلة للزيادة والتطور عبر الزمن- مثلا ظهور تقنية التصوير الضوئي للكتب الموقوفة أمر مستحدث يجعل هذا النوع من الأوقاف باق مادامت السموات والأرض-.

كما أن هناك أحكام متعلقة بكل الأوقاف- على اختلاف طبيعتها وخصائصها- أقرها الفقهاء للحفاظ على هذه الأوقاف واستدامتها منها: منع بيع الوقف واستهلاك قيمته، منع تعطيله، وجوب صيانته، حرمة الانتقاص أو الاستيلاء أو التعدي عليه قحف (2006: 68) ، تعيين ناظر عليه يديره، رقابة القضاء عليه (السعيد، 2009: 48) ،...

وتجدر الإشارة أن أموال الوقف لا تتميز بالاستدامة فقط بل بالتراكمية والزيادة، ذلك أنه بالإضافة إلى الأوقاف التي أنشأتها الأجيال السابقة والمستدامة(بطبيعتها أو بتدخل بشري) تضاف إليها أوقاف جديدة ينشئها كل جيل يأتي السعيد (2009: 69) ؛

- **استدامة المنافع الموقوف لأجلها:** وه ي نتيجة طبيعية لاستدامة الوقف في حد ذاته، وهذا الأمر على درجة كبيرة من الأهمية، إذ يعتبر الهدف الأساس من وراء إنشاء أوقاف مستدامة والعمل بكل الوسائل على استدامتها، لأن هذا يعني توفر مصادر دائمة ومستمرة ومتزايدة لتغطية العديد من المجالات التنموية(المنافع الموقوف لأجلها)، كما يعني بعبارة أدق اقتطاع الأجيال السابقة لجزء من دخولهم وثرواتهم بهدف توفير فيض من المنافع للأجيال اللاحقة السعيد (2009: 34؛105) ، وبهذا فالوقف صورة واضحة عن التضامن بين الجيل الواحد والأجيال اللاحقة.
- **الوقف واستدامة الأجر والثواب:** يعد التضامن بين الأجيال أمر متأصل في الإسلام﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**)[الحشر،09]، فإذا كان تضامن أحد الأجيال مع الأجيال السابقة لها بالدعاء، فإن الوقف صور من صور تضامن الأجيال السابقة مع الأجيال اللاحقة لها، ذلك أن الوقف يعتبر في الدين الإسلامي نوع من أنواع الصدقات التي يرجو فاعلها من وراءها الأجر والثواب، لكنه يختلف عن بقية الصدقات كون الواقف وراء عمله هذا يرجو استدامة الأجر والثواب في حياته وحتى بعد مماته، وقد اتفق الفقهاء على أن المقصود بالصدقة الجارية في **حديث الرسول صلى الله عليه وسلم** هي الوقف، ومعنى الجارية يجري نفعها فيدوم أجرها (عبد الوهاب، 1999: 659).

ويتضح مما سبق أن للوقف علاقة وثيقة بالاستدامة، ودور كبير في تجسيد استدامة العملية التنموية من خلال الباعث الأساس من وراء إنشاء الأوقاف(استدامة الأجر)، ومن خلال ضمان مصادر تمويل مستدامة لهذه العملية، الأمر الذي يجعله مساهماً أساسياً في تغطية احتياجات الأجيال اللاحقة.

ونخلص من هذا العرض أن المجتمعات الإسلامية ال سابقة وبفضل الوقف الإسلامي الذي يتجسد فيه مفهوم التنمية المستدامة حققت السبق الإبداعي على الفكر التنموي المعاصر.

ثالثا: الأهمية التنموية للوقف الإسلامي

حسب رأينا لا يكفي إثبات السبق المفاهيمي كما لا يكفي القول أن الوقف الإسلامي حقق ونفع في الماضي، بل الأهم إثبات كيف يمكن الاستفادة منه في تحسين أوضاعنا حاضرا. لذلك سنحاول في هذا العنصر من البحث إبراز هذا الجانب.

- ✓ **الأهمية الاجتماعية والثقافية**

إن من الصعوبة محاولة حصر أهمية الوقف الإسلامي في المجال الاجتماعي والثقافي، ذلك أن الأوقاف الإسلامية شملت كل جزئيات ودقائق الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، وهذه جوانب فقط من هذه الأهمية:

- يساعد الوقف ويكمل دور مؤسسة الزكاة وباقي المؤسسات التي تعمل على تحقيق حد الكفاية لأفراد المجتمع، من خلال مساهمته في تقديم العديد من الخدمات التي تدخل في تمام الكفاية كالتعليم، التطبيب، وتوفير فرص عمل...؛
- يساهم الوقف في تحقيق التنمية البشرية، عن طريق إنشاء وتمويل مؤسسات دورها إعداد الفرد بتعليمه وتكوينه ورفع قدراته ومهاراته، وزيادة وعيه وثقافته، والحفاظ على صحته، ومن هذه المؤسسات دور العلم على اختلاف مستوياتها والمسجد والمؤسسات الاستشفائية،...؛

- يساعد الوقف في تحقيق الاستقرار الاجتماعي عن طريق تعزيز الجانب الأخلاقي والقضاء على مختلف مصادر الانحراف وأسبابه، من خلال تخصيصه أوقافا للفقراء- إذ يعتبر الفقر أحد الأسباب المؤدية للانحراف- والأيتام والأرامل حفظا لهم من التشرد؛
- يعزز روح الانتماء المجتمعي، ويظهر هذا من خلال تفاعل المسلم مع هموم مجتمعه، إذ يترجم هذا الحس التراحمي في شكل فعل تضامني وتكافلي هو الوقف؛ (ملاوي، 2009: 13-14)
- يقوي الترابط والتكافل العائلي، فالوقف الذري يساعد على استمرار الأسرة وترابطها، والحفاظ على ثروتها من خلال التقليل من تفتت هذه الثروة بفعل التوريث الدائم؛ صالحي (2006: 652)
- الوقف صورة من صور التضامن الاجتماعي وأداة من أدوات تحقيق العدالة الاجتماعية ليس بين أفراد الجيل الواحد فحسب بل بين الأجيال المتعاقبة، فتخصيص أوقاف لفئات العجز في المجتمع يعتبر شكل من أشكال التضامن ويساهم في تحقيق العدالة الاجتماعية، وبالتالي صون المجتمع من كل مظاهر الأنانية ومصادر الصراع بين مختلف فئاته.

✓ **الأهمية الاقتصادية**

رغم أن الوقف عمل خيري بحت إلا أنه يساهم بقدر ما تملكه من موارد مالية قابلة للزيادة باستمرار في تحقيق التنمية الاقتصادية ، حيث:

- يساهم في إعادة توزيع الدخول والثروات لصالح فئات العجز في المجتمع، كما يساهم كذلك في عملية التوزيع بين الأجيال؛
- يساهم في تنشيط الطلب الكلي، فتحول تيار من الدخول من فئات الفائض في المجتمع إلى فئات العجز التي تتميز بميل حدي للاستهلاك مرتفع يؤدي إلى زيادة الطلب الفعال؛ ملاوي (2009: 12)
- هذه الزيادة في الطلب تؤدي إلى زيادة العرض، كما يمكن لهذه المؤسسة إحداث زيادة في هذا الأخير عن طريق تمويل مشاريع استثمارية من مواردها، وعن طريق كذلك مختلف الصيغ

الاستثمارية؛ التي يمكن لهذه المؤسسة من خلالها إحداث زيادة تراكمية في مواردها ومدا خيلها، والتي تؤدي إلى زيادة كم ونوعية الخدمات التي تقدمها؛

- يساهم في التخفيف من حدة البطالة والفقر، من خلال مساعدته في حصول هذه الفئات على الشغل، فتعليم هؤلاء وتكوينهم يسهم في إعدادهم لعالم الشغل، بالإضافة إلى إتاحة تمويل منعدم التكلفة(القرض الحسن) لمشاريعهم؛
- يساهم في إنشاء وصيانة البنية التحية للاقتصاد مثل إنشاء الطرق وبناء الجسور وحفر الآبار...ملاوي (2009: 11) ؛
- يساهم في تخفيف العبء على ميزانية الدولة عن طريق تكفل مؤسسة الأوقاف بالمساهمة في تقديم بعض الخدمات، مما سيخفف من الآثار التضخمية لهذا النوع من النفقات.

✓ **الأهمية السياسية**

شكل الوقف عبر التاريخ الإسلامي عن طريق ما يتمتع به من موارد ومن خلال تواجده في مختلف مجالات الحياة خطا دفاعيا أمام أي خطر خارجي يهدد الأمة في هويتها وسيادتها، كما شكل على المستوى الداخلي" سياجا لمقاومة الظلم والجور في عهود انحراف الدولة، وسبيلا لحماية الثروات والأموال من تعسف الحكام ومصادراتهم" (عبد الباقي، 2006: 109).

إذ ساهم في إيجاد مجتمع حضاري يتمتع أفراده بمستوى عالي من التعليم و الثقافة والوعي والتمسك بالهوية والثوابت، وتنعم كل فئاته بحيز واسع من الحرية، فتخصيص أوقاف للعناية بهذه الجوانب، من إنشاء دور العلم وتمويل أعمال البحث العلمي وتوفير العيش الكريم للعلماء والباحثين ملاوي(2009: 16) وغيرهم من المسئولين على مراكز حيوية في المجتمع كالقضاة، يجعل هؤلاء مستقلين عن السلطة غير خاضعين لتقلباتها، مما يهيأ لهم حرية العمل بكفاءة وإخلاص واستقلالية مادية وفكرية ، والوقوف مع الحق وضد كل جور أو أغراض شخصية قد تكون لمن يتولون رعاية مصالح هذه الأمة(أحمد الصالح، 2002: 930-931).

- ✓ **الأهمية البيئية**

لم يقتصر دور الأوقاف في المجتمع الإسلامي على الاهتمام بالإنسان وتوفير حاجاته ضرورية كانت أم حاجية وحتى تحسينية، بل تعداه لرعاية البيئة الطبيعية بكل مكوناتها(المائية والحيوانية والنباتية)، فوجدت أوقاف لصيانة الترع والأنهار وأوقاف لإطعام ورعاية الحيوانات كالطيور والقطط قحف(2006: 39) حتى أنه أنشئت أوقاف للكلاب الضالة التي لا مالك لها (القرضاوي، 2001: 244)، وأوقاف للإقامة الحدائق العامة وحفر الآبار...ملاوي (209: 16).

ومع تطور الحياة الإنسانية يمكن تطوير النظرة للوقف البيئي كتوقيف أرض لأغراض البحث الزراعي، أو تخصيص أموال للأبحاث العلمية في التخصصات المتعلقة بمجال البيئة(التخلص من التلوث والتقليل منه، الحفاظ على الموارد،...)(بتصرف. م.إ للتربية والعلوم والثقافة: 44).

ومن خلال ما سبق تظهر الأهمية الكبيرة للوقف الإسلامي في تحقيق التنمية الشاملة المستدامة، غير أن الواقع المعاصر للمجتمعات الإسلامية يدل على ضعف وتراجع كبير في هذه الأدوار نتيجة لعدة أسباب منها تعرض البلاد الإسلامية لحركات الاستعمار وما ألحقه هذا الأخير من نهب واستيلاء وإتلاف للأوقاف، وكذلك ضعف الاهتمام بالجانب الاستثماري للأموال الوقفية.

رابعا: الإبداع في استثمار الأموال الوقفية

نظرا لعظم الأدوار التي أدائها ويمكن أن يؤديها الوقف في تنمية المجتمعات الإسلامية مرة أخرى، أصبحت الضرورة قصوى وملحة لاستثمار الأموال الوقفية بل وأصبح الباب مفتوحا للإبداع في هذا المجال.

وحتى لا يكون هذا الباب مرتعا للابتداع لا للإبداع بادر مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الخامسة عشر بإصدار القرار رقم 140 (15/6) حول "الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه"(مجمع الفقه الإسلامي، 2004)

ويقصد بالاستثمار في المجال الوقفي أولا الاستثمار في الوقف " بمعنى (إنشاء) الوقف (والإضافة) إليه، والمحافظة على قدرته الإنتاجية بإصلاح ما خرب منه (التجديد) أو استبداله بوقف آخر (الإحلال) وهو ما يمكن أن نطلق عليه تنمية الوقف، وهنا يكون الوقف طالباً للتمويل." كما يقصد به ثانيا استثمار الوقف في حد ذاته "بمعنى استخدام مال الوقف للحصول على المنافع أو الغلة التى تصرف في أوجه البر الموقوف عليها "(عبد الحليم عمر:16)

وفي هذا الإطار قدمت عدة طرق منها ما هو تقليدي تحدّث عنه علمائنا القدامى ومنها ما هو مستحدث يمكن إدراجه في إطار العمل الإبداعي بناءا على صيغ إسلامية وردت في كتب الفقه، وبالتالي فوجه الإبداع في إجراءات التطبيق المتوافقة مع العصر. عمر عبد الحليم(بتصرف: 20)

ولأن الصيغ كثيرة وكل صيغة تحتاج إلى التفصيل خاصة الشرعي، فلا يكفي المقام للتطرق إليها، لذلك تم الإشارة إليها في الشكل رقم 01 .

الخاتمة

يعبر مفهوم التنمية المستدامة على وصول الفكر التنموي المعاصر إلى مرحلة النضج، حيث لم يعد الاقتصاد هدفا يُسعى إليه والبيئة لا تتعدى أن تكون وسيلة للوصول إلى تحقيق هذا الهدف، فأصبحت البيئة الأساس الذي تستعمله الأداة(الاقتصاد) وتنطلق منه لتحقيق الهدف(الرقي بالجانب الاجتماعي).

وقد حاولنا في هذا الورقة من خلال التركيز على الوقف الإسلامي كعنصر من عناصر المنظومة المجتمعية الإسلامية ، إثبات تجذر مفهوم التنمية المستدامة في التراث الإسلامي، وهو ما يشكل سبق اً إبداعياً، حيث بينّا علاقة الوقف بمفهوم شمولية التنمية من خلال تغطي ته لكافة المجالات، كما وضحنا كذلك ارتباطه بمفهوم الاستدامة ولخصناها في ثلاث عناصر(استدامة الأموال الموقوفة، استدامة المنافع الموقوف لأجلاها، استدامة الأجر والثواب). والأمر لا يتوقف عند المستوى المفاهيمي بل يتعداه للجانب التطبيقي الواقعي، ونقصد بذلك تفعيل الوقف حاضرا في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات الإسلامية.

الجدول رقم01: أمثلة عن الإبداع من ماضي المسلمين

المبدع	الفترة التي عاش فيها	بعض من إبداعاته
جابر بن حيّان(1)	102-196هـ/720-815م	أول من حول الكيمياء إلى علم طبيعي تجريبي، صاحب نظرية قابلية المواد للاحتراق والمعادن للتأكسد، اكتشاف حامض النتريك والهيدروكلوريك، واكتشاف بهما ماء الذهب وماء الفضة والبوتاسيوم،.....
الخوارزمي(1)	توفي 232هـ/836	ابتكر صورة الرقم العربي، ابتكر الصفر، علم الجبر الذي يسمى لاسمه في كل لغات العالم، حاجة الفقه وكل العلوم الإسلامية للرياضيات،
ابن الهيثم محمد ابن الحسن(1)	354-431هـ/965-1038م	أبدع في دراسة تشريح علم الإبصار، مؤسس علم نفس البصر وعلم الإدراك البصري، وكرياضي حل معادلة من الدرجة الرابعة سميت ب" مسالة ابن الهيثم"، قوانين حساب مساحات الكرة والأسطوانة والهرم والدائرة،
عبد الرحمن ابن خلدون (2) (3)	732-808 هـ/1332-1406	السبق الإبداعي في ربط القيمة بالعمل الإنساني فقد سبق آدم سميث في اعتبار أن العمل الإنساني أساس تشكل ثروة الأمم، التوضيح المعمق لمبدأ تقسيم العمل وحقق مرة أخرى السبق على الاقتصادي آدم سميث.

المصدر:

(1) عبد الحليم، 2005: 79-83. **(2)** داودي،2001: 26-28. **(3)** أحمد سليمان، 2010: 04.

الجدول رقم 02: مؤشرات حول مستوى الإبداع لدول مختارة

الدولة	براءات الاختراع الممنوحة حسب الأصل 2012(1)	الترتيب في 2013 من أصل 142 دولة(2)			
		مؤشر الابتكار العالمي	الإبداع غير المادي	إبداع في السلع والخدمات	الإبداع على الانترانت
الجزائر	41	138	137	130	116
البحرين	03	67	107	112	63
الصين	152,102	35	72	69	163
مصر	124	108	106	92	108
المملكة المتحدة	20,194	03	46	10	05
الأردن	10	61	51	39	90
اليابان	343,484	22	108	20	42
ماليزيا	660	32	32	30	59
السعودية	(2011)229	42	05	84	77
تركيا	1,375	68	87	50	56
إسرائيل	4,622	14	88	21	16
و.م.الأمريكية	228,918	05	86	12	18

المصدر:

(1)WIPO, 2013: 196-198

(2) Cornell University, INSEAD and WIPO,2013 :xx-xxi ; 131-264.

الشكل رقم 01: أساليب تقليدية ومستحدثة لاستثمار الوقف وتنميته

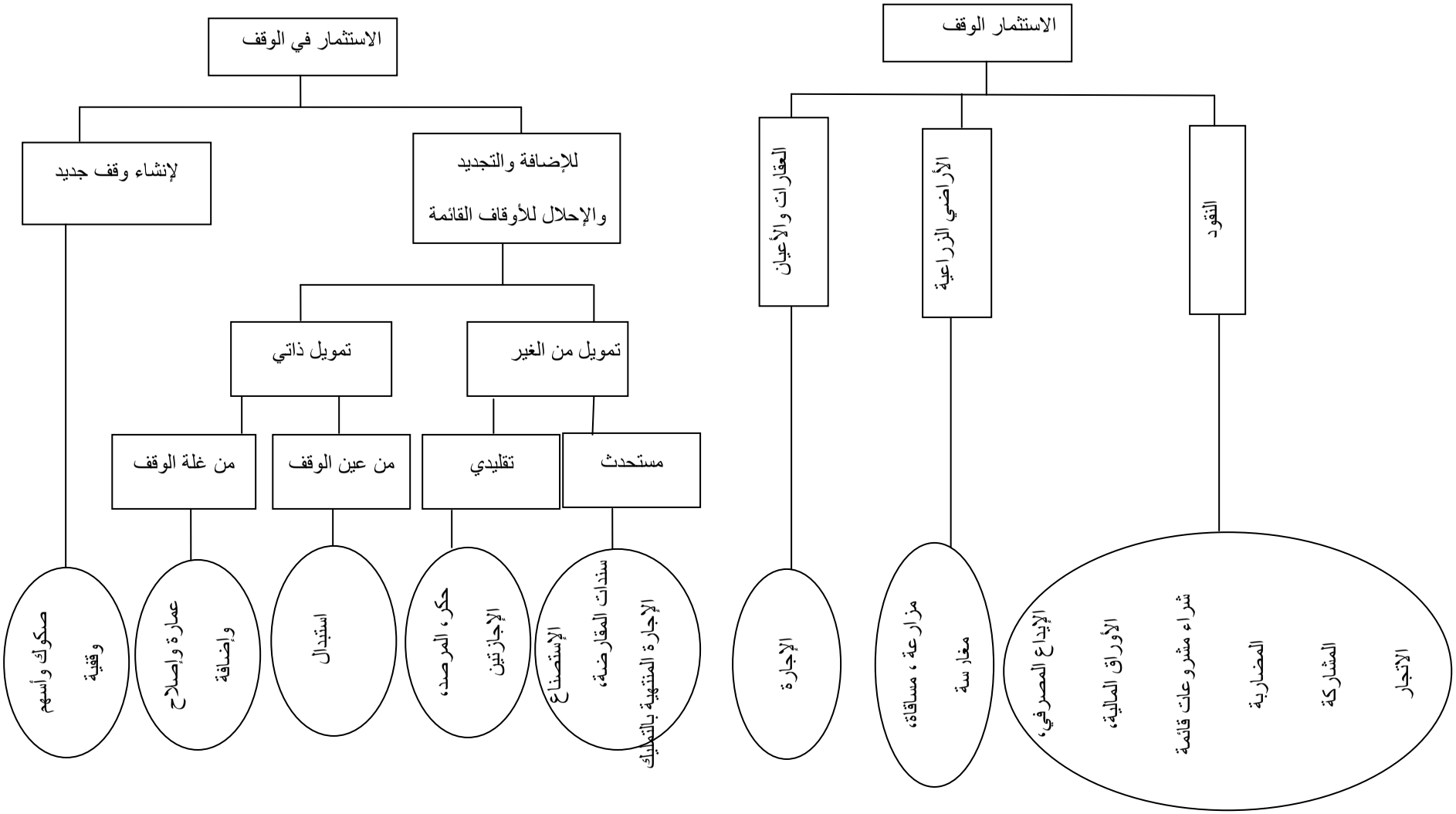

محمد عبد الحليم عمر، 2004، الاستثمار في الوقف وفى غلاته وريعه، في الدورة الخامسة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، عمان: 16-26.

- **المراجع**

1 - إبراهيم محمود عبد الباقي، 2006، دور الوقف في تنمية المجتمع المدني : نموذج الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى:109.

2 - أحمد إبراهيم ملاوي، 2009، دور الوقف في التنمية المستدامة، في المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية"الوقف الإسلامي: اقتصاد،وإدارة، وبناء حضارة"، الجامعة الإسلامية: 11-16.

3 - أحمد سليمان محمود خصاونة، 2010، التخصص وتقسيم العمل في الفكر الاقتصادي الإسلامي، العدد 44: 04.

4 - أحمد محمد السعد، 2009، المقاصد الشرعية للوقف، في المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية"الوقف الإسلامي: اقتصاد،وإدارة، وبناء حضارة"، الجامعة الإسلامية: 34-105.

5 - أحمد محمد هليل، 2006، مجالات وقفية مقترحة غير تقليدية لتنمية مستدامة، في المؤتمر الثاني للأوقاف حول" الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية"، جامعة أم القرى:07.

6 - زين الدين درويش، التفكير الإبداعي: طبيعته، وإمكانيات تنميته بين الأفراد والجماعات، في الموقع الالكتروني: *www.pathways.cu.edu.eg/.../**Creativity**-Dr.Zeen.pdf*

7 - السفير محمد دغش، سياسة تشجيع الابتكارات: تجربة العالم العربي، في الموقع الالكتروني: http://www.wipo.int/edocs/mdocs/arab/ar/wipo_ipr_cai_04/wipo_ipr_cai_04_1.ppt

8 - صالح صالحي، 2006 ، المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي : دراسة للمفاهيم والأهداف والأولويات وتحليل للأركان والسياسات والمؤسسات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: 639- 652.

9 - صالح صالحي، 2008، التنمية الشاملة المستدامة والكفاءة الاستخدامية للثروة البترولية في الجزائر، في المؤتمر الدولي" التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة"، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، سطيف، منشورات مخبر الشراكة والاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الفضاء الأورومغاربي، دار الهدى للطباعة والنشر: الجزائر: 883-884.

10 -الطيب داودي،2001، نظرية القيمة عند ابن خلدون، مجلة العلوم الإنسانية - جامعة بمحمد خيضر بسكرة، العدد الأول: 26-28.

11 -عبد الحليم محمود السيد، 2005، التفكير الإبداعي: مفهومه، والحاجة إليه وأساليب تنميته في المجتمعات الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، العدد 41: 79-83.

12 -عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 1999، الوقف مفهومه ومقاصده، في ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية: 659.

13 -عيسى القدومي، 2010، القطاع الثالث بعد دعاوى الإرهاب والضحايا البريئة، قراءة في كتاب "القطاع الثالث والفرص السانحة..رؤية مستقبلية" لـ محمد بن عبد الله السلومي، في مجلة الفرقان، جمعية إحياء التراث الإسلامي، العدد613، الكويت: 34.

14 -مجمع الفقه الإسلامي الدولي، 2004، قرار رقم 140 (15/6) بشأن الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه، الدورة الخامسة عشر، سلطنة عمان، في الموقع الالكتروني:
http://www.fiqhacademy.org.sa/qrarat/15-6.htm

15 -محمد بن أحمد الصالح، 2002، الوقف الخيري وتميزه عن الوقف الأهلي، في ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة السعودية: 930-931.

16 -محمد بن عبد الرحيم بن سعيد آل ناقرو، 1432هـ،الإبداع: مفهومه ووسائل تنميته، في ملتقى بناء معايير التدريب،الجمعية العلمية السعودية للتدريب وتطوير الموارد البشرية،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: 14.

17 -محمد عبد الحليم عمر ، 2004، الاستثمار في الوقف وفى غلاته وريعه، في الدورة الخامسة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، عمان: 16-26.

18 -منذر القحف، 2001، الدور الاقتصادي لنظام الوقف الإسلامي في تنمية المجتمع المدني مع نظرة خاصة للدول العربية شرق المتوسط، في ندوة " نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي"،بيروت: 14.

19 -منذر قحف،2006، الوقف الإسلامي تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر: سوريا، الطبعة الثانية: 09-103.

20 -منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، في الموقع الالكتروني:
http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P5.htm

21 -يوسف القرضاوي، 2001، رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، درا الشروق، مصر، الطبعة الأولى: 244.

22- The Global Innovation Index 2013 :The Local Dynamics of Innovation, 2013, Cornell University, INSEAD and WIPO :xx-264.

23- World Intellectual Property organization, 2013,World Intellectual Property Indicators, WIPO Economics & Statistics Series : 196-198.